

# لماذا قصر النقد في تطوير حركة الشعر الحديث؟

بقلم نكاس سلطان

بعض القصاصد واخفقوا في بعضها الآخر ، واطن ان الشعر المهم لاخفاهم هو كون التجربة في ادوارها الاولى وان تاريخنا الادبي لم يعرف حركة لها هذا الصنف وهذه القوة ... واتى بعدهم كثيرون من الشعراء الشباب يسيرون على الطريق ذاتها دون تفهم للعمل الذي يقومون به ، وكان بينهم الاصيل والدخيل وهذه الكثرة من الدخلاء هي التي سببت الهجوم على الشعر الحديث ، لانها لم تعرف كيف تستغل الطاقة الجمالية في هذه البحور . ولم تعرف كيف تغلق موسيقى جديدة ، نابعة من اعماق النفس ومتوافقة مع الاطار الخارجي بشكل رائع ... وبهذا نفس طابع النثرية الذي سيطر على كثير من قصائدنا الحاضرة ، حتى في مجلاتنا الكبيرة كالاداب مثلا ... والشبه الهام في هذا الموضوع هو عدم معرفة امكانيات التفعيلة الواحدة . وما قام به الشعراء هو التصرف بعدد التفعيلات دون الالتفات الى تغييرها واعطائها اشكالا جديدة ، كزيادة ساكن ومد ما لم يجسر عليه اجدادنا من قبل ، كما فعلت في تفعيلات البحر الطويل ، رقم (٤) وقصائد غيرها اكثر وضوحا وتنوعا .

عند هذه النقطة وقف شعراؤنا عاجزين دون ان يعترفوا بمجزهم ، بل تمدوا ذلك الى الهجوم بقسوة على الشعر القديم كله .. وهذا كما اعتقد مخالف لكل تجديد ، لكل نسميه تجوزا بالثورة .. والشبه الواضح ان جنود الجديد هي اصغر وادق تشعبات الجذر القديم ، وانها موصولة بترتبه اشد اتصال ، وكلما كانت الصلة اقوى كان التجديد اكثر ابداعا وخلقا وقابلية للبقاء والاستمرار ، واكثر قبولا لدى الاجيال التي تعيش الان وتستعيش في اجزاء هذا الوطن الكبير .

اذن ، ماذا عمل النقاد الموجودون عندنا تجاه هذا التطور ؟ بعضهم مدح الحركة وبعضهم ذمها بعنف ، ولكن الجميع اضعوا الوقت فيما حدث ولم ينتبهوا الى ما يمكن ان يحدث ويوجد .. ولم يضيفوا شيئا واحدا من ناحية الشكل او المعنى . وقد يعترض معترض بان الناقد ليس شاعرا ليقدم لنا النماذج الجيدة حتى يتبهما الشعراء ، وانما هو موضح لخصائص العمل الادبي من جميع نواحيه ، ولهذا اقول : ان الناقد لم يلم حتى بهذه المهمة الاساسية ... انا اعتقد ان تجديد اشكال الشعر العربي يجب ان يمر في ثلاث مراحل :

١ - المرحلة الاولى هي مرحلة استعمال البحور الستة ذات التفعيلة المتكررة اكثر من مرة ، وهذا ما فعلناه ، مع سوء تصرف بشكل التفعيلة وجماليتها مما قادنا الى النثرية في اغلب القصائد التي نقرأها .

٢ - المرحلة الثانية هي استعمال البحور التي لا تتكرر فيها التفعيلة الواحدة ، كالتويل والبسيط ، لتشكل كامل ومجزوء في ان واحد ، كما فعلت في « اتانيون » رقم ٢ وميلاد رقم ٤ من قصيدة لا ارض .. لا اصداق .. الرفقة بهذه الكلمة السريعة ، وفي قصائد اخرى لم انشرها واذكر هنا بحر المجتث وما فيه من امكانيات موسيقية ...

٣ - المرحلة الثالثة هي ايجاد تفعيلات جديدة وتركيب الابعاض القديمة بشكل جديد يتلادم مع ما عرفناه من عالم النفس في هذا العصر ، وما جد من دراسات حول النواحي الموسيقية .. وهذه المرحلة تتعلق بطبيعة اللغة العربية ذاتها وبان تاريخنا الادبي لم يصف حتى الان ويحتاج الى بعض الزمن . وهنا تبرز مهمة الشعراء الابن ودورهم . ومن هذا نصل الى ان واجب الشاعر ليس كتابة قصائد جيدة رائعة فقط ، بل عليه ان يساهم ويشارك في بناء هذه الحركة الجديدة

يعلم كل انسان ارتبط مصيره بمصير الفن والادب - من بعيد او من قريب ، جزئيا او كليا - انه ما من احد ، ما من ناقد يستطيع القضاء على عبقرية او يستطيع ابعادها عن الصفوف الامامية ، او اطفاء وهجها . ومع ذلك فنحن نتساءل عن دور النقد ، وبالاخص عن دور النقد في الشعر الحديث . اقول الشعر الحديث واؤكد ذلك لاني ارفض منذ البدء ما يكتب في بعض المجلات والصحف من عبارات تافهة كالشعر المنثور او النثر الشعوري .. ان القضية عندي هي شعر او لا شعر ، شعر يعطي عددا ضخما من الحقائق ، ويفتح ابواب عالم النفس ليحضرها ، يوتر مشاعرها ويؤثر فيها ، شعر تحمل كل كلمة فيه افعال الذكريات والاف الاحاسيس واجمل الصور .. القصيدة الشعرية تعني انها عالم حقيقي لا اثر للزيف فيه ، عالم اعظم من العمق ، ولا يصل الى تحليقه نسر .. الشعر يجب ان يكون شيئا من هذا او لا شيء .

اتحب ان تسألني ايها القاريء فيما اذا كان ما يكتب الان في الصحف والمجلات وما ينشر من دواوين ، شعرا ام لا ؟ لك الحق في هذا ولكني لا استطيع ان اعطيك جوابا صريحا واضحا ، يكفي ان تقرأ هذه السطور وان تحاول الوصول مما - بعد قراءتها - الى جواب .. ابواب عالم شعري جديد فتحت على مصراعها في منتصف قرنا الحاضر .. الداخول من كل حذب وصوب ، عمالقة ومسوخ ، عباقرة ومزيفون ، مناضلون ومهرجون ، اصليون ومنظفون ... كثيرون يدخلون من هذه الابواب العريضة ، لا احد يسألهم ، لا احد يبحث عن ملامحهم ، لا احد يصرخ في وجوههم : من انتم ؟ جنة يريدون ان تتحول الى جحيم ، فردوس موعود ، ونافذة نور حلم بها الشعراء قبل ان يولد امرؤ القيس يريدون ان يفلقوها بهذه الكثرة الداخلة عبر هذه الابواب ، ابواب العالم الشعري الجديد الذي اشير الى ولادته .

بات معلوما ، اشهر من نار على ان الشعر الحديث يعتمد على التفعيلة الواحدة بدل اعتماده على الشطرة او البيت كوحدة اساسية كما كانت شعارات شعرائنا في القرون الماضية وحتى الان عند بعضهم .. ولا مجال للحديث في هذه العجالة عن اسباب تطور شعرنا الكلاسيكي في جزء من بحوره الى شكله الجديد . لا مجال للحديث عن ذلك لان الاسباب كثيرة ومتشعبة كالاتصال بالفرب منذ حملة نابليون ، والاضعاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عانى منها شرقنا العربي كثيرا واضطرت بعض افراده الى الهجرة ، فنكون هناك ادب المهجر ... وربما كان من اسباب انتشار هذا الشكل قصور اشكال الشعر الكلاسيكي من التعبير عن جميع ما يخض الفرد كشاعر ، وكاشعسان مسؤول في امة وبالتالي في عالما ، هذا الصغير . اقول لا مجال للافاضة لان في مقالات نازك الملايكة التي ستصدر مجموعة في كتاب قريبا ، وفي مقالات غيرها ما يفينا عن هذا .

يبرز هنا سؤال ، اذا كان كل ما عمله الشعراء حتى الان من تحوير شكل بعض البحور العربية هو بدء التجديد والثورة ، فماذا نعمل بالباقي من بحور الشعر العربي ما ندنا ندعو الى ثورة وتجديد كاملين ؟ ونفض من الكتابة بالطريقة القديمة ، طريقة طرفه وبشار وحافظ ؟

يمكن ان نجد البذور الاولى لهذا الشكل عند نسيب هريضة في بعض قصائده وعند مصطفى وهبي التل وعند نازك الملايكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي لكن كل ما فعلوه هو انهم التفتوا الى خاصية رائعة في ستة بحور شعرية فاعتمدوا على التفعيلة الواحدة وتكرارها مرة او اكثر حسب المعنى الذي يعبرون عنه ، ونجحوا في

٢ - وهو لم يفلح الابواب العريضة في وجه الافزام والمهرجين، ولم يكشف اللصوص والمدينين . ان باب الشعر يجب ان يكون فيسقا صعبا لا يدخله الا اهله .  
٢ - وهو لم يفر الزوايا المظلمة واكتفى بالحديث عما هو معروف لدى الجميع .

لم يستطع النقد الحديث تقديم دراسة كاملة عن الشعر ، واكتفى قراء الادب اجمعهم بقراءة بعض مقالات متفرقة بين الحين والآخر ، مما يدعوننا الى التساؤل عن :

- ١ - وجود نقد عربي
- ٢ - عن مسؤولية المجلات التي يجب ان تساهم في تكوينه وتطويره وان ترفض نشر قصائد تافهة لاشخاص غير مثقفين شعريا . اما الفرص فدعوها ريثما ينمو الشخص بشكل يشر ان لديه شيئا يقوله .
- ان الالم الاخر الذي يقع على عاتق النقد في رأيي هو انه لم يوضح بصورة دراسة منهجية موضوعية مضمون الشعر الحديث واختلافه عن مضمون الشعر القديم ، ولم يشر الى خصائصه السيئة الكثيرة التي اشير الي بعضها هنا اشارة تنبيه :
- ١ - لا يوجد بناء متماسك في كثير من قصائد الشعر الحديث . فنحن نجد كثيرا من الجزئيات والتفاصيل لا تشارك في بناء القصيدة ، والفروض ان يختار الشاعر منها ما يساعد على كشف الجوانب المتميزة ، ثم ابراز هذه الجوانب ، باعتبار ان لها دلالات توضح الفكرة التي يعبر عنها .

ب - ظاهرة التقليد وتكرار الرموز التي فقدت معناها بسبب كثرة الاستعمال كسيزيف والصليب والمسيح وابي زيد الهلالي والسندباد اتنا نرى الشاعر يكرر الكلمات ذاتها مجرد تكرار لفظي ذهني ، كما حدث للشعراء القدامى حينما كتبوا عن الاطلاق دون ان يكون هناك ظل او عاطفة معينة لها علاقة بالرسم او بالظلال .. والتقليد يتعلق بضعف الاحالة وسطحية التجربة وعدم تخميرها .

ج - التهويلات وكثرة الصور الغريبة التي لا تعطي اية قيمة اضافية للفكرة ، وتظل مجرد صور لذاتها .

د - وجود اللهجة الخطابية في قصائد كثيرة ، وكثرة الشعارات . ولا حاجة هنا للتنبيه الى ان الشعر يكتب ليقرأ ولا يكتب ليلقى على المنابر .. وارجح ان السبب يعود الى تأثير الدين وتأثير ادبنا القديم في استمرار هذه الخطابية .

هـ - تكرار بعض الكلمات : صديقتي ، الحزن ، الساء ، اميرتي ، سيدتي ، دون شحنها بعاطفة صادقة متقدة . وتكرار بعض الجمل بقصد زيادة الدلالة الموسيقية والنفسية ، ولكنها لا تساهم في بناء القصيدة ولا في اغناء الجو النفسي .

و - الزج بين بحور الشعر مزجا غير فني ، وهنا نرى اعتماد الشعراء على الكثير من شواذ التفعيلات (العلل والزخافات) التي يجب عدم ورودها واستعمالها الا بضرورة .

نقطة هامة رئيسية احب ان اتبه عليها هي استعمال الشعراء لنصف التفعيلة لا للتفعيلة الواحدة باجمل اشكالها وكل امكانياتها الجمالية رقم ٦ وهذا يؤدي الى ذكر :

- ١ - ضعف الثقافة الفنية والموسيقية عند شعرائنا
- ٢ - الروح الثرية التي طغت الشعر العاقر
- ٣ - مشكلة السرفقات او التأثر بالشعر العربي والاستيحاء منه . ويمكن التعميم والقول بان الجميع تأثروا بالادب الغريبة والشعراء العالميين . فالذا دافع احد بان الحالات العاطفية التي تمر بها النفس تتلاقى وتتشابه ، فان هذا ليس مبررا كاليا وانما السبب الاصلي يعود الى جذب النفوس والفكر الفكري التي تعيش فيه .
- ح - تحول الواقعية الى الطبيعية عند شعرائنا والسبب فعالة الثقافة وسوء الفهم .
- ط - كثرة الحوار الجانبي واستعماله بشكل خاطئ في القصائد الفنالية العاطفية .

بكل ما يملك من ثقافة وموهبة وجهد .. وليس علي هنا ان اخبر الجميع بان النقاط المضيئة لا تحتاج لمن يشير وينبه اليها لانها تشع من تلقاء نفسها ، والبحث عن الزوايا المظلمة التي تخفي الكنوز عن العيون ، واضافتها هو الشيء الذي يذكر لصاحبه .

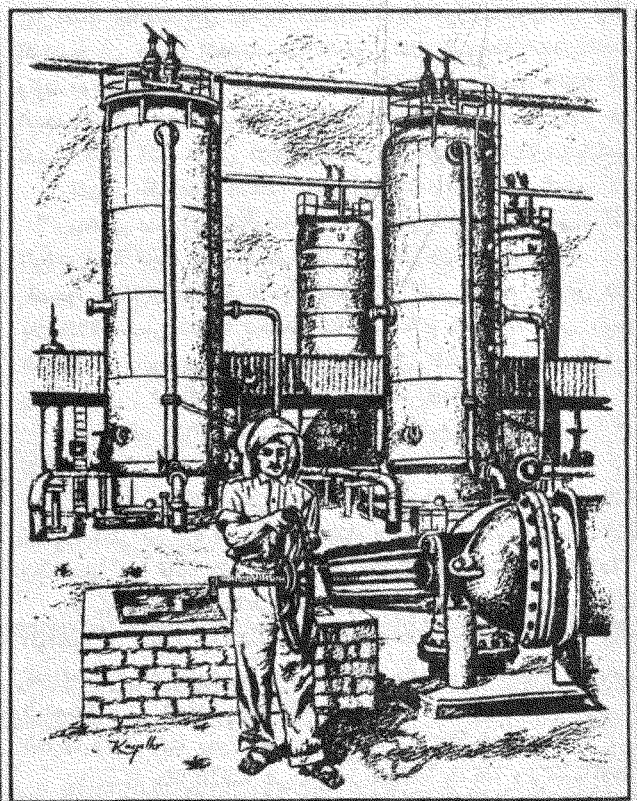
لا شك ان الجمل القليلة التي كتبتها عن مراحل التجديد الشكلي لا يمكن ان تقدم فائدة كاملة للذين يبحثون عن متمم لشكلة شكل الشعر الحديث ، وعلمي انني لست في مجال عرض وبسط هذه المشكلة عرضا وبسطا مفصلا ، وانما اردت الاشارة الى امكانية الاستفادة من كل بحورنا القديمة لتعبر بها عن افكارنا العاصرة ومكتسبات الحضارة الحديثة .. وانا الان في مرحلة دراسة لكل ما يمت الى الناحية الشكلية بصلة ، وكتابة قصائد نموذجية للدلالة على امكانية العمل .

اذا تركنا الشعر الان وعدنا نبحت عن جواب سؤالاتنا الاساسي : لماذا قصر النقد في تطوير حركة الشعر الحديث ؟

ربما استظننا ان نقول بان عدم وجود نقد فني وحقيقي هو السبب ، اما ان ندعي بان لدينا نقادا فهذا لا يهم لان قيمة النقد تظهر بما يقدمه ، بما يوضحه ، بما يساعد على خلقه وتكوينه .. فهو لم يفسح :

١ - الدور الذي لعبه المتطفلون على الشعر الحديث في تركيز الهجوم عليه - انتحوا اية مجلة كبيرة ، واستثنوا قصيدة واحدة ، ثم اجعلوا الباقي كله نماذج منطولين .

## مركز لتجميع النفط في الكويت



سُئلت كرتة بعل في أحد مراكز التجميع خمسة عشر الفتح تقدم حقول النفط السبعة في الكويت .  
وهذه المراكز يجمع فيها النفط وتُوزل عن الغاز قبل أن يسيل في الأنابيب الى إمدت حظيرتة الخزانات في الأحمديت .



شركة نفط الكويت المحدودة

اعترف ان كثيرا من الخصائص لم اذكرها لاني لا افهم بحث موضوعي وكل ما فعلته هو قرع ناقوس الفروع والافتاء بما في ايدينا .. فاننا لم الفصل طريقة معالجة اشكال التفعيلة الواحدة ، ولم الفصل كيف نشأ الشعر العربي .. لم افصل شيئا من هذا وغيره ، واكتفيت بهديث عادي بسيط خال من هدير الفحول وقمقعة المدججين .

كمال سلطان

دمشق

مجاز في الاداب

ي - من الناحية اللغوية نحن نجد استعمال الامثال والكلمات الشعبية دون الاتصال بمضمونها ورموزها وتفسيرها التي تعود لزمان مضي ، وعدم فهم نشأتها والمعجز عن ربطها بالحاضر والمستقبل .  
ك - مسألة بدء القصيدة بحرف من حروف المطف على اعتبار ان للقصيدة امتدادا في الزمن الماضي ، وانها مستمرة خلال نفس الشاعر ، ونحن نلاحظ ان بعض الشعراء اصبحوا يداون هذه البداية ، لان القصيدة مستمرة في الزمن الماضي ولكن لمجرد التقليد وقسلة الخبرة الفنية .

## (( لا ارض .. لا اصدقاء ))

اللاحيقة ارهاقا .. هربت من مدينتي الى حضارة جديدة .. كانت سعادتني في الطريق لحظة .. وعلى الشاطيء الاخر كان الغواء والزيف .

انانيون

( ١ )

كثيرون ماتوا على الدرب .. في صدرنا مقبره  
شتائية الريح ، لاتعرف المغفره  
خطانا تمر بصحرائهم ممطره  
الى الله ، منفي ، الى الاخره  
سكاري  
لصوص  
وعشاق ذات ، وقوادة لاترى

( ٢ )

لا اصدقاء لهم  
قطرة الماء في صحراء مجهوله  
جفت ضمائرهم  
اسفنجة بانفعال الشمس مغسوله  
مزيفون بهم  
غور ادعاء وتهريج واحبوله  
الربع يمضغهم  
كدودة في ضلوع الصدر مسلوله  
كان في يدهم  
تشنجا والى الجنين مغلوله  
فارحل بدون ايباب  
ولا تقل احباب  
ماكنت اعرفهم  
نسيت حزن الشتاء  
واصدقاء المساء  
وانت اخرهم

ميلاد

( ٣ )

لا ارض .. الزورق الفضي يحملي  
البحر يملكتني  
والشمس والريح والاشياء في زمني  
ولادة من جديد ، ها هنا وطني

سعادة تغمر الابعاد ، تغمرني  
لا شيء يتبعني  
زرقاء صافية ارضي سماواتي  
اكاد ادرك ان الله في ذاتي  
ولادة من جديد في عباراتي  
تضيء لي نفسي  
في منتهي حسي

( ٤ )

رياح مسائيه  
تناجي نجوم الليل  
سما ربيعيه  
ومرشوشة بالطل  
احس بصوفييه  
باشياء شرقيه  
تفتح آفاقي  
احس باسماك البحار الشماليه  
تموج بأعماقي  
وابصر ابعاد النجوم بأحداتي  
واسمع صيادين مروا بأشواق  
لاعين اسماك البحار الشماليه ..  
وصات الى ارض الحضارة يا قباي  
ظمئت الى حبي  
الى اخضر الدرب

الحضارة

( ٥ )

تمر بأجمل ايامها  
امير صباها واحلامها  
يرافقها في الطريق الطويل  
لترقص ابداع انغامها  
كان نجوم المساء  
تضويء وجه السماء  
تثير بها اعماق الهامها  
امير صباها واحلامها

يطوف بها في شوارع روما  
يحدثها عن صفاء العيون  
وباريس تضحك للمعجبين  
وفالس فيينا الطروب الحزين  
على لحنه يرقص الحالمون

مساء

وعند الصباح

طريق المناجم

درب المعامل ، بالحالمين

يفص ، بكل الحوامل والمرهقين

وفالس فيينا الحزين

يدوب ، يدوب كضوء صفاء العيون

واشعر اني غريب

واسمع موال حب عجيب

من الشرق ، ينبوع صوت حنون

( ٦ )

مناضلون ميتون

حضارة مزيفه

كانني امشي على جميع ما في بلدتي

من ارضه

لا شيء غير اوجه حزينة ومطفأة

تحس في اعماقها

بانها بلا فم ، بلا شفاه

مدينة محت ملامح الرجال

فيها ، تعيش في عنابر الحطب

في علب السردين في سلاسل من

الذهب

وتلبس الكروم في اعناقها

مدينة بلا انفعال

عيونها مفتحات في الليال

اطفالها من النحاس والزهور والخشب

كانهم لم يعرفوا اما واب

احسها حضارة مزيفه

كمال سلطان